

تمثيلات الجسد الأنثوي في الحضرة الصوفية

من الجسد المُرَوَّحَن إلى الرُّوح المُجَسَّدَنَة

Representations of the female body in the Sufi presence

From the spiritual body to the embodied soul

بغداد خديجة*

جامعة وهران 2 (الجزائر)

Baghdadi.khad3@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2024/02/01 تاريخ القبول: 2024/10/27

● الملخص:

تروم هذه المطارحة البحثية إلى تقصي تمثيلات الجسد الأنثوي في الحضرة الصوفية، لا كبنية فيزيولوجية سطحية، إنما الجسد في بعده الروحاني المثقل بحمولة رمزية دلالية تستوجب الكشف عنها من خلال الطقوس وممارسات وحركات تعبيرية تتجسد في طقس الحضرة الصوفية عند مريدات الزاوية الهبرية. حيث سنتساءل عن قدرة المنهج الأنثروبولوجي على ضمان دراسة موضوعية للظاهرة الصوفية، ومدى راهنته في تناول الممارسات الطقوسية الصوفية-طقس الحضرة على وجه الخصوص- كموضوع للدراسة. وقد اخترنا الزاوية الهبرية فضاء للبحث الميداني، لكونه فضاء يضم أكثر من خمسين مريدة، ناهيك عن الإقبال الكثيف للنساء من محبات للطريقة، أو زائرات أيضا، سيؤكد بحسب اعتقادنا أنّ معرفة وفهم دلالات طقس الحضرة شيء مستبعد (في بعده الموضوعي) خارج آليات العمل السوسيو أنثروبولوجي: الملاحظة والمقابلة.

الكلمات المفتاحية: الطقوس الجسدية، الرمزية، الحضرة، الزاوية الهبرية.

Abstract: This research seeks to investigate the representations of the female body in the Sufi Hadhra, not as a superficial physiological evidence, but the body in its spiritual dimension burdened with a symbolic and semantic load that must be revealed through rituals, practices and expressive movements embodied in the ritual of the Sufi Hadra at the Moridate al-Zawiya al-Habriya. We will question the ability of the anthropological method to ensure an objective study of the Sufi phenomenon, and the extent to which it is relevant in treating Sufi ritual practices – the Hadra ritual in particular – as a subject of study. We have chosen Zawiya al-Habriya as a space for field research, because it is a space that includes more than fifty women, not to mention the heavy turnout of women who love the method, or also visitors, will confirm, according to our belief, that knowing and understanding the semantics of the Hadra ritual is something excluded (in its objective dimension) outside the mechanisms of socio-anthropological work: observation and interview.

Keywords: physical rituals, symbolism, Hadhra, Zawiya al-Habriya .

● مقدمة:

تعتبر الزوايا والطرق الصوفية في حواضر العالم الإسلامي ظاهرة راسخة في ثقافة المجتمع، وقد تختلف عن بعضها من حيث الممارسات الطقوسية والاحتفالات الدينية التي تقام داخل هذه الزوايا، تبعا للطريقة الصوفية التي تتبعها، والتي تضمن لها استمراريته وديمومتها، لهذا يحرص شيوخ الزوايا على إحيائها بطريقة مستمرة، فهي بذلك تجسّد مبدأ الحرية في التواصل اللغوي والشخصي، بين الفقراء من جهة، وبينهم وبين الله من جهة أخرى، ولعل طقس الحضرة هو الفضاء الحرّ الذي ييوح فيه العبد بكل اعترافاته أمام الله بالذنوب والخطايا، ويتخلص منها فور ولوج هذا الطقس.

والمتحضر ينظر من خلال فعل الإقرار بالذنب أنه يمارس اتّصالا روحيا بينه وبين الله، يشبه الوصلة المتجسدة في الصلوات الخمس، والحضرة الصوفية مؤسسة مكونة من عناصر ثقافية فيها تفاعل متبادل مشروط بطقوس معينة، تتركز على مجموعة من الرموز والدلالات.

الاقترب المنهجي للدراسة (منهج وأدوات البحث):

المنهج المستخدم وتقنيات البحث: إنّ البحث الأنثروبولوجي في مجال الظاهرة الدينية مرتبط بالمدة الزمنية؛ لأنه تجربة دينية ومسار تربوي، ما يطرح مسألة الحدود بين الذات والموضوع؛ أي ما يصطلح عليه "الغيرية" *Altérité* = الذي يمكن الباحث من فهم وتفسير الظاهرة وبالتالي خلق مفاهيم جديدة تساهم في بناء المعرفة بالظاهرة. من هذا المنطلق كان علينا أن نتخّر المنهج الأنسب حسب طبيعة الموضوع في كلياته وجزئياته، وذلك من أجل تحقيق الأغراض المطلوبة فيه، وبناءً على متطلبات البحث التي تندرج ضمن المقاربات الأنثروبولوجية توخينا العمل بالمنهج الوصفي، ومنهج دراسة الحالة، باعتبارهما منهجين يركزان على الوصف الدقيق لكافة المتغيرات والعوامل التي تنطلق من داخل الحالة المدروسة (الممارسات الطقوسية كطقس الحضرة)، وهنا بالذات يأتي دور الملاحظة والمقابلة كتقنيات وظفناها في جمع المعطيات والبيانات حول الظاهرة المدروسة.

مجالات الدراسة:

المجال البشري: فقيرات الزاوية الهبرية بولاية وهران

المجال المكاني: الزاوية الهبرية الواقعة بحي المقراني العثمانية -حي مرافال -سابقا -شارع مرواغي محمد رقم 46 وهران

المجال الزمني: 12 جوان 2023 إلى 1 سبتمبر 2023

1-الإطار التنظيمي لطقس الحضرة الصوفية1-1/تعريف الحضرة (العمارة):

تعد الحضرة (hadhra) من الممارسات الجماعية ذات دلالة روحية صوفية، والحضرة كلمة مشتقة من الفعل حضر وحضورا، ويقال بحضرة فلان أي بوجوده وبشهادته وأمامه¹، كما تعد تجمعا كبيرا وموسعا لمناسبة احتفالية على شرف أحد المرابطين وتكون بذلك مجالا للقاء ومعالجة أهم القضايا التي تخص الجماعة².

والحضرة ممارسة صوفية محضة وثيقة بالخالق عز وجل، وهي تسمى "الحضرة الإلهية" أو متعلقة بمحمد (ﷺ)، وتأخذ اسمه الشريف "الحضرة المحمدية"، أو تسمى بالنبيين عيسى وموسى عليهما السلام فتكون الحضرة "عيسوية أو موسوية"، وفي حالة الحضرة الإلهية تتصل بأسماء الله الحسنى وهي أعلى درجات الحضرة³، إلا أن هذا الحضور إنما هو حضور رمزي لهؤلاء المرسلين، يتخذ شكلا بئنيّا بين الواقعي والمتخيل وبين المرئي واللامرئي. ويعرفها الشيخ خالد بن تونس: بأنها «نوع من الذكر ومن الاهتزاز الروحي»⁴.

كما تعتبر الحضرة حالة طقوسية غاية في الغرابة، ونظام للذكر الجماعي؛ بل هي أهم تلك التقاليد الروحية في الممارسة الصوفية، حيث تجتمع الفقيرات في الزاوية لممارستها في أوقات معينة حسب كل طريقة، وتختلف تسميتها من منطقة إلى أخرى فهناك من يسميها (العمارة*)، وهناك من يسميها (ال جذب) أو (الزهد) عند العامية، أما في مجتمع البحث (وهران) فيطلق عليها اسم (العمارة).

ولقد حاولنا تقصي تعريفا دقيقا لمفهوم (العمارة الصوفية) إلا أننا لم نجد إلا ما رواه لنا شيوخ الزوايا التي زرتها والفقيرات اللواتي قابلناهن، حيث ورد على لسانهن أنّ (العمارة) أو (الحضرة) هي عمارة الأوقات بالحضرة الإلهية، أي أن يحضر الفقير قلبه مع الله الواحد ويكون على طهارة تامة، وهناك من عرفها على أنها مرادفة ل (الزهد) يقال: "الْفُقْرَا يَزْهَدُوا" أو "يَعْمُرُوا" أو "يَحْضُرُوا" أو "الْفُقْرَا يَجْدُبُوا"، وبعض الفقيرات كان لديهن ميل واضح في وصف الحضرة على أنها تعبير جسدي، حيث يحصل الاهتزاز نتيجة التأثير بالذكر والسماع، واتفقت الآراء على أنها: الحال الذي يعتري الفقراء بعد الاندماج في طقس الذكر أو السماع، ومن أركانها أن يكون الذكر بالهيلة.

ولقد تحدثت بما مشايخ التصوف وعددوا مفاهيمها منهم سيدي أحمد الرفاعي والجنيد والجيلاني والشاذلي والشعراني والحافمي والقشيري ويقصد بها حضور القلب مع الله وقد سماها رسول الله (حلقه الذكر) و (مجالس الذكر) و (الذكر في الملاء)⁵.

1-2/ بنية الحضرة أو العمارة الصوفية :

أجمعت الدراسات الأنثروبولوجية على أن طقس الحضرة هو من أغرب الممارسات الطقوسية لدى الصوفية، وذلك من خلال التعبيرات والرموز والحركات الجسدية التي تؤدي في هذا الطقس، فهو بذلك طقس حامل لمجموعة من الإشارات والرموز ذات دلالات معينة وتؤدي في ظل شروط معينة.

تقنيات إحداث الحضرة و شروط انعقادها:

المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ص 237¹

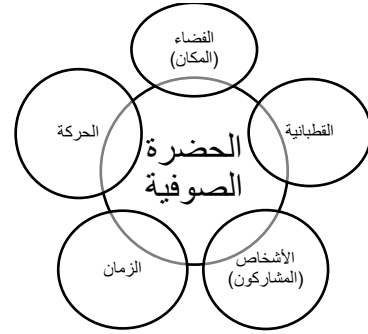
² Louis Rinn, Marabouts et Khouan, étude sur l'islam en Algérie, Alger, 1884

³ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص196

⁴ خالد بن تونس-التصوف قلب الإسلام-عربه عن الفرنسية معهد ألف- باريس بإشراف سماحة المؤلف، دار الجيل، الطبعة الأولى، 2005، ص166

* العمارة لغة: ما يعمر به المكان، العمرة: طاعة الله عز وجل وعمر الله إذا عبده، وعمر فلان ركعتين إذا صلاهما وهو يعمر ربه أي يصلي ويصوم، كما يقول رجل عمّار إذا كان كثير الصلاة والصوم، وهر رجل قوي الإيمان في أمره التّخين الوَرغ (ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص604)

⁵ عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، دار الخير، دمشق، بيروت، 1988، ص40



أ- المكان: يشترط في تأدية طقس الحضرة (العمارة) المكان الأنسب لها، فالتوجه العقلي والعلمي للزاوية لا يسمح بأن تقام فوق أسطح المنازل، تفاديا لإحداث شروخ في سقف المنزل نتيجة اهتزاز المعمرين .

ب/ الزمان: رغم أنه ليس هناك وقت محدد لأداء هذا الطقس إلا أن الزاوية الهبرية محل الدراسة تخصص أمسية يوم الجمعة بعد صلاة الظهر لأداء العمارة

ج/ القطبانية: والقطب (Meneur de jeu) هنا شيخ الطريقة أو مقدم(ة) الزاوية بشكل عام ويسمى القطب لأنه العارف بأسرار هذا الطقس، يقوده، ويضبط إيقاعه، والمسؤول عن تقويم الخارج عن نظامها وهو من يعلن انطلاقها كما يعلن توقيفها متى رأى ما يوجب ذلك نتيجة اعياء أو حالات إغماء وغيرها...

د/ المشاركون: وهو الأشخاص المنخرطين فعليا في هذا الطقس

والحضرة كشكل من أشكال تجمُّع أهل الطريقة، تخضع لنظام معين كطريقة جلوس الحاضرين داخل الزاوية، وطريقة تجمعهم حيث "، يتحلق الفقراء حلقة محكمة لا يكون في خلالها فرج، لئلا يدخل الشيطان بينهم وليكون المدد جاريا في جدول الحلقة المتصلة ببعضها البعض ويحصل الإيقاظ لبعضهم البعض"⁶، وقد تضم الحضرة ذاكرات من غير أهل الطريقة بشرط احترام النظام والتقاليد الروحية للحضرة. هـ/ الحركة: والحركة ضمن هذا الطقس يحددها الإيقاع الشعري للألفاظ، وتعتمد الزاوية الهبرية على الطبل وتخصص له إحدى الفقرات التي تجيد الضرب عليه وغالبا ما تكون من عائلة مقدمة الزاوية الهبرية أو المقدمة نفسها.

وشكل الحضرة على هذا الأساس يأخذ شكل الحلقة التي تنفتح من الأمام على المقدمة وبجانبتها أحد أفراد العائلة الذي يوكل إليه الضرب على الطبل، "والحضرة من حيث هي فضاء أو مكان لها حرمتها مقابل الفضاء الداخلي للدائرة يتواجد المنصتون بأعينهم لحكايات الجسد الطقوسي، وتواجههم يتشكل الخط الحدودي لدائرة الحرم أي الفضاء القدسي المحيط بدائرة الحضرة، وهو ما يسمح للفضاء الطقوسي للحضرة بأن يحول زبائنه من متفرجين عاديين محايدين إلى متورطين ومشكلين فاعلين داخله، إنَّ المتفرج يتحول على عتبة أو باب رمزية تعين لحظة التقاطع بين القدسي والدنيوي"⁷،

2- تمثيلات الجسد الأنثوي: من الجسد المروحن والروح المجسندن

⁶ مصطفى بن إسماعيل حبش المدني، النصرة النبوية لأهل الطريقة الشاذلية المدنية الفاسية، الطبعة العامة الشرقية، مصر، ط1، 1898، ص173

⁷ نور الدين الزاهي، المقدس الإسلامي، مرجع سابق، ص 55

عندما تعقد الفقرات المشاركات في طقس الحضرة العزم والنية على دخول الحضرة، يجب أن يرافق ذلك الاستدعاء الملفوظ (التجمع أو الحلقة) مباشرة بعد عقد العزم يصبح حضور دال ومدلول الحلقة في ذهن المشاركات، عندئذ تتشكل الحلقة تلقائيا عيانيا لوحدها بفعل الإدراك، وخياليا بعد عقد العزم مباشرة، ومن جهة أخرى يصبح استحضار الملفوظ أمرا اضطراريا لاستكمال منهج العزم.

تنخرط الفقرات في فضاء (الحضرة) تحت إيقاع ضرب الطبل أو دف مرفوقا بفعل إغماض العينين، "وفي حضور العيون الجسدية القدسية تندثر وظيفة العيون الطبيعية، حيث تغلق الأهداب ليصبح الجسد الطقوسي داخل فضاء حضرته جسدا من دون عيون"⁸، وتتماسك الأيدي بعضها ببعض وتشابك الأصابع، واليد في هذا الطقس هي أداة رئيسية لخلق الإيقاع المنتظم داخل فضاء الحضرة كما تعد أداة رمزية حاملة لأسم الله الأعظم، وتشابك الأصابع في عرف الصوفية هو (السُّقْيَة) وهو أمر مرغوب عندهم، حيث يدعي هؤلاء أنه بفضل هذا التشابك يُسقى الفقراء الصالحون الذين فتح الله عليهم بنوره وتكشفت أمامهم الأمور ورزقوا كرامات معينة بقية المريدين، فينهلون مما أنعم الله على هؤلاء.

ومن جميل ما قيل في العمارة ما أورده إميل ديرمنجين، في كتابه «شعائر القديسين في الإسلام لدول المغرب العربي»، إذ يقول: «يكون الإخوان دائرة مغلقة وهم واقفون ومتزاحمون بعضهم مع البعض، وأعينهم مغمضة، واليد اليمنى في اليد اليسرى للمجانب، والأصابع متشابكة، وفي وسطها «قطب» واقف يرسم الإيقاع، ويصفق ويدور على نفسه وهو يراقب كل واحد وكذا الجميع، ويغير مكان هذا أو ذاك لكي يبقى الكل متوازنا، وعندما يوشك النظام أن يختل أو يرى أثر الإعياء الشديد يوقفها، أي الحضرة. كما يقف في وسطها أيضا واحد أو إثنان من المسمعين الذين ينشدون أشعارا صوفية في تعظيم الله عز وجل وفي مديح الرسول صلى الله عليه وسلم، وبارتفاع الإيقاع تدريجيا يصير اسم «الله» في كل صدر «لاه»، «ه»، وهو لم يعد يصدر عن الشفتين ولكن عن الصدر، إنه نفس يصعد من القلب بالذات، والحال أن الأجساد تهتز من الأعلى إلى الأسفل دون أن ترتفع الأقدام- وتشبه الحشرة الجامعية الشديدة صوت مستثار ضخمة، وتبقى الأعين دائما مغمضة والوجوه مهلهلة- تعبر عن الألم الممتزج بالفرح»⁹

كما يضبط تشابك أصابع الفقرات مسار الحركة للمريد المنفعل فينضبط بفعل التشابك، ومن جهة أخرى يثبت القوة في الفقير المتراخي. إن استعمال اليد كأداة رئيسية لخلق الإيقاع المنتظم داخل فضاء الحضرة استعمال لأداة رمزية تعرف امتلاء قدسيا فاليد عضو حامي للجسد ككل، إنها حماية رمزية بما أن اليد الحاملة لاسم الله ولأسمائه الحسنى وهي أيضا الحاملة للعين الحامية من كل عين¹⁰.

أما مبرر تشكيل دائرة منسوجة بأجساد الفقرات، أو بغيرهن من الحاضرات والزائرات، يرجع لعنصرين¹¹: الأول يتمثل في أنها - كما يؤكد الفيثاغوريون - أكمل وأجمل الأشكال الهندسية، فهي تملك القدرة على احتضان جميع الأشكال الهندسية الأخرى، إضافة إلى أنها الإطار الهندسي اللامرئي للجسد الإنساني، أما الثاني فيتشمل في أن الدائرة تمحور جميع الأشكال الهندسية الأخرى حول مركز النقطة، إن

⁸ المرجع نفسه، ص 56

⁹ خالد بن تونس، التصوف قلب الإسلام ص 166-167.

المرجع نفسه، ص 57¹⁰

¹¹ شتاتة أم الخير، زيارة الأضرحة وأثرها في إعادة تشكيل الوعي الجمعي، دراسة ميدانية لضريح سيدي عطاء الله ببلدية تاجموت، ولاية الأغواط، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2011، ص 123

النقطة مثلما تعبر عن الفيثاغوريين عن أصل الأشكال والأعداد فهي داخل المتخيل الديني الإسلامي أصل جميع المنطوقات اللغوية القدسية وعلى رأسها النص القرآني.

وتجمع (الحضرة) بين أفعال لتزكية النفس والذكر، ويعبر عنها بواسطة لغات مختلفة ممثلة أحيانا في لغة الجسد كالرقص والتمايل مرة إلى الأمام ومرة الخلف، وهزّ الرأس لدرجة بلوغ بعضهن حالة الإغماء أو حالة الكشف اللحظي*. و"الكشف قد يأتي للمريد في بضعة دقائق وقد يأتي في بضعة أسابيع أو شهور، وهؤلاء الأتباع يستعملون الرقص والتواجد ويذكرون الله بحركات خاصة إلى أن تصل إلى التشنج والصرع¹².

أما في الزاوية العلوية فقد لاحظنا أنّ الفقيرات لا يركزن كثيرا على هذا الطقس (الحضرة)، لأنه حسبهنّ لابد من توافر شروط إقامتها وليس في كل المناسبات تقام الحضرة، إنما لها زمنها ومكانها، ثم إنّ مقدمة الزاوية العلوية غير مقتنعة بهذا الطقس؛ فهي ترى أنّ الخشوع لله لا يتطلب بالضرورة دوران وتحريك الجسد وضرب الأرجل، وتقوم الحضرة -سواء في الزاوية الهبرية أو غيرها كالتيجانية مثلا -على بعض الأشعار الصوفية في تعظيم الله وفي مديح رسول الله (ﷺ)، حيث تقوم الفقيرات بإنشادها، وترافقها إيقاعات الدف من قبل المقدمة أو أختها أو فرد من أفراد الزاوية، وكلما ازداد الإيقاع تسارعا كلّما ازداد الذكر تسارعا أيضا حتى يصل جسد الحضرة إلى تبديد كل قواه وإصدار صرخته الكبرى (الله، الله، الله)، فلا تكاد ترى الصوت يصدر من شفاههن؛ إنّما من أقصى قاع صدورهن، وكأنه نفسٌ يطلع من القلب، وهذا الإيقاع ترافقه حركات جسدية تحتز من الأعلى إلى الأسفل دون أن ترتفع الأقدام وتبقى الأعين مغمضة، والأجساد طائرة خفيفة كأنها ثلثة تعبر عن الانتشاء وكأنها حالة من السكر تصل أحيانا إلى درجة الإغماء. أو كما يجب أن يسميها بعض الصوفية أنفسهم (النشوة الصوفية)* والتي يشبهها البعض بلذة تعاطي المخدرات رغم أنّها تختلف عنها للأسباب التالية:

- لا يمكن إحداثها وتظل كل الجهود الرامية إلى التوصل إليها بدون طائل.
- تقوي وحدة الذات وترفع المعنويات، وهو مالا يصح دائما في المخدرات، ويفسر بكون الشخصية متجهة أساسا نحو الزهد الديني.
- المخدرات لا تغير شيئا بصفة عامة من فلسفة الفرد العدمية أو اللاإرادية، في حين إنّ النشوة الصوفية تعاكس هذين الاتجاهين وتفضي إلى الهداية.
- تكرار تعاطي المخدرات يمكن أن يكون ضارا على المستوى النفسي أو على المستوى الجسدي، وليس الأمر كذلك في حالة النشوة الصوفية¹³.

* تصرّح بعض الفقيرات أنّهن يرين صورا وأطبافا نورانية سرعان ما تزول بسرعة، وعن صدق هذا الأمر أو عدمه لم يتمكن من الحكم فيه خاصة وأن الأمر متعلق بحالة ميتافيزيقية لا يمكن التنبؤ بها ولا تقييمها. وهناك من نفت وصول المريدات إلى مرحلة كهذه إلا لدى المجذوبات وهن غير متواجدات معهن.

أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، مرجع سابق، ص 129¹²

* زعم البعض أن هذه التجربة من التعقيد ومن استحالة الوصف ما يجعلها مستعصية على التحليل باعتباره ظاهرة متميزة ومع ذلك فقد بين ستيس (Stace)، أنه بالإمكان تمييز تجربة الزهاد الدينين من الظواهر الشبيهة بها (ينظر: البكاري صالح، أبعاد الدين الاجتماعية، مرجع سابق، ص 45)

، وولتر، ستيس، التصوّف والفلسفة، تر وتو: أ.د. إمام عبد الفتاح إمام، أستاذ ورئيس قسم الفلسفة، جامعة الكويت، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999، ص 46)

¹³ ولتر ستيس، التصوف والفلسفة، مرجع سابق، ص 46

إنّما حالة التحرر من كلّ قيد وضغط نفسي ونوع من التطهير، أو هي كما وصفها نور الدين الزاهي في كتابه (المقدس الإسلامي): "إنّما إعلان لكل أن جسدا غادر الزمن الواقعي وانخرط في الزمن القدسي"¹⁴، وترجع الفقرات بعد أداء هذا الطقس وكأنّهن خفيفات ولدن من جديد- على حدّ تعبيرهن- ومن الأمور التي تسترعي الببان في هذا العنصر القوة التي يكسبها جسد الفقرات خاصة الكبيرات في السن، وقد انتبه لذلك الشيخ خالد بن تونس حيث قال: "إنّك ل ترى أشخاصا يبلغ عمرهم نحو السبعين سنة وهم يتكئون على عصي، فبمجرد ما يباشرون هذه العمارة يصبحون شبابا من ذوي العشرين"¹⁵، وهذا يفسر قول الفقرات بأنّهن لا تشعن بأجسادهن؛ بل وكأنّهن يطنن ويسبحن في ملكوت الله، فالحضرة لا تعباً لا بثقل الجسد ولا بكبر السن .

ولقد أحسن ولتر ستيس (Walter Terence Stace) * حين تحدث عن النشوة الصوفية واستحالة ربط هذه التجربة بنظم التفسير المعتمدة حالياً إذ يقول: "إن مطالعة أهم وثائق الأدب الصوفي العالمي تقنع كل قارئ حساس بأن طابع التجربة الصوفية الذي يفوق كل وصف لا يمكن تفسيره بأيّ مبدأ من المبادئ النفسية التي تنطبق على الحياة اليومية، والمتصوفون لا يعتقدون أنّ بين درجة الوعي اليومي العادي مجرد فارق نسبي في الدرجة؛ وإنما فارق مطلق في الطبيعة"¹⁶.

وما يبرر هذه النظرة لدى ستيس (walter Stace) هو تلك العلاقة الوثيقة بين الفلسفة وبين التصوف، فالتصوف يمكن أن يرفع الفيلسوف إلى عوالم التصوف، وينزل التصوف إلى العقل التجريبي، وذلك من خلال مقام الفناء الذي يصوغ المعرفة ويفضي إلى الحقيقة الإلهية، ويجلي النشوة الصوفية ويوهج المحبة فيها، ومن ثم بلوغ أعلى المراقي وهي درجة الفناء في الواحد المطلق، إنّها المرحلة التي تتجاوز فيها الذات نفسها وتنصهر في الغير أو تستدرجه، "ففي الآخر تجدد الذات حضورها الأكمل. الأنا هي، على نحو مفارق، اللاأنا، والهوية في هذا المنظور؛ هي كمثل الحب -تخلق باستمرار"¹⁷، وفي هذه اللحظة يتوارى الأنا ولا يبقى غير الهو، فيتجلى اللامرئي ويتوحد معه، فيصبح الصوفي وقتئذ في حالة اغتراب مع نفسه حتى يصل إلى أن يقول: "أنا لست أنا" وبدلاً من الكوجيتو الديكارتي: أفكر، إذن أنا موجود (أنا نفسي)، يقول الكوجيتو الصوفي: أفكر إذن أنا آخر (أنا لا أنا)¹⁸.

3- الجانب الدرامي للحضرة

إنّ خروج الأنا إلى الآخر يلوي على نزعة إنسانية غاية في الأهمية، حيث يكون الصوفي بتجربته تلك أقدر الناس على تقبل الآخر مهما اختلفت مواقفه أو ديانتته، أو قوميته وعرقه، وتحرره من التطرف الديني الدوغمائي، وهي بذلك "تتجاوز حدود الأديان والطوائف والقوميات والأعراق لكي تصل إلى الإنسان في كل مكان"¹⁹، كما تسمح هذه التجربة بتحرير الإنسان من التزمّت والتعصب للرأي، وتقبل

¹⁴ نور الدين الزاهي، المقدس الإسلامي، مرجع سابق، ص 5

¹⁵ خالد بن تونس، التصوف قلب الإسلام، عربه عن الفرنسية معهد ألف، باريس، دار الجيل، ط1، 2005، ص 167

* ستيس ولتر، 1886-1967 (walter Terence Stace)، فيلسوف بريطاني النشأة، ولد في بريطانيا في عائلة عسكرية، إلّا أنّه فضّل الاشتغال على الدين والفلسفة.

¹⁶ ولتر، ستيس، التصوف والفلسفة، مرجع سابق، ص 285

¹⁷ أدونيس، النظام والكلام، دار الأدب، ط1، بيروت، 1993، ص 7

¹⁸ المرجع نفسه، والصفحة نفسها

¹⁹ محمد أركون، نزعة الإنسنة في الفكر العربي، دار الساقى، بيروت 1997، ص 29

الغير واحترام الأديان والمعتقدات، وعدم تكفير الآخر أو تجهيله واحتقاره، والتركيز على فكرة واحدة هي عبادة المعبود الأحد، عبادة حبّ وليس خوف، ولقد أشار ابن عربي إلى هذا المسألة في كتابه (فصوص الحكم) حيث يقول: "إياك أن تعتقد بعقد مخصوص وتكفر بما سواه فيفوتك خير كثير بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه. فكن في نفسك هيولي لصور المعتقدات كلها، فان الله أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد"²⁰.

إلا أنه لا يجب الخلط بين التجارب الصوفية المقترنة بالنشوة الصوفية، وبين بعض التجارب الصوفية المقترنة باضطرابات عقلية وبعض الظواهر الغريبة كالصراخ والعيول والضرب العنيف بالأرجل والقفز المستيري والتي يفسرها شيوخ الزوايا وبعض المتصوفة بأنّها حالة مرضية أو اضطرابات عقلية أو مسّ من الجن أو كما سماه بوازن (Boisen) بالعصاب الديني²¹، فالنشوة الصوفية لا تشتمل على أية خلفية هلع أو خوف؛ إنما يصاحبها شعور بالسعادة والرغبة في معاودة التجربة، لا خوف مرضي من تكررها. ولقد أكد المهتمين بالدراسات النفسية والاجتماعية لتلك الحالات النفسية العصائية بأنّ حالات المستيريا والكبت المزمن والانهيار العصبي وسواها من الأمراض النفسية الأخرى حالات استثنائية غير سوية، ولا يمكن اعتبارها شكلا من أشكال الممارسة الصوفية لأنها انعكاس للسلوك المنحرف²².

وأما الجذب فهو مصطلح معروف عندهم ولعلّه -حسب ما يعتقدون- من المسالك المثلى للترقي، وقد أورد لي بعضهم أن الصوفي في هذا المقام -أي الجذب- يجذبه الله إلى حضرته، وقد يكون المجذوب بجسده على الأرض، لكن عقله ساجداً في ملكوت السماء، يُكشّف له الحجاب ويصبح متبصراً وهذه الحالة التي يصل إليها المجذوب (Le ravi en dieu) قد تكون في مدة زمنية قصيرة سرعان ما تختفي فجأة. لنضرب مثالا عن ذلك: في يوم من الأيام كان الجنيد في بيته صحبة زوجته فدخل عليهما الشبلي، وحينما أرادت الزوجة الاحتجاب قال لها الجنيد بأنّ هذا الأخير لا يمكن له الإحساس بها أو رؤيتها، بعد ذلك بدأ الجنيد الكلام مع الشبلي الذي أخذ يكي بغزارة في وقتها طلب الجنيد من زوجته التحجب لأن الشبلي عاد من حالة غيابه²³، فالأول يسير على الطريقة بإرادته الخاصة بينما الثاني يجذبه الله إليه، تلك هي أهم ميزة للتجربة الصوفية التي يستحيل فيها استنفاد الحقيقة واستكناها، لأنها وبكل بساطة أكبر من قدرات العبد، الذي أقل ما يستطيعه إزاءها هو تأويل ما يصدر عنها من رمز وإشارة صادرة عن جسده الذي ينطق بأحواله وشروده وذهوله وسفره وجذبه، وهو في ذلك الحال يكون مصغياً لذبذبات اللاهائي التي تتصاغر أمام عظمة الإلهي ومن ذا يحيط بكل شيء علما وتفسيرا وقد قال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾²⁴.

ولقد تمكنا من خلال مقابلاتنا مع الفقيرات من الاستدلال على من يعتقد أنّ بلغن درجة المكاشفة، ولكنهن يرفضن الحديث عن هذا الأمر أو حتى التصريح به أمام أيّ كان؛ خوفا من ذهاب هذه الكرامة إذا تمّ فضحها، وهذا المقام هو من أهم الأمور التي تتمنى الفقيرات بلوغه، لهذا متى حدث معهنّ فهنّ لابد تتسترن عنه حتى لا يفضح، ومن ثمة يفقدن هذا الامتياز الصوفي مستشهدات بحادثة

ابن عربي، فصوص الحكم، تحقيق أبو العلاء عفيفي، دار الكتاب العربي، ص 113²⁰

²¹ ليلي قراوازن، محمد رمزي، التصوف في مرآة معاصرة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد 27 (3)، 2013، ص 493

المرجع نفسه، ص 47²²

²³ Junayd, Enseignement spirituel, traduit par Deladrière, Paris, 1983, P197

سورة البقرة، الآية : 255²⁴

(بن يوسف الصغير)* الذي سكن جبال الوردانية بعين تموشنت لمدة خمسين سنة معتكفا بها، وكيف مات بعدما دخلت حياته القنوات الفضائية وكشفت للناس.

وإخفاء السرّ - كما يصطلح على تسميته في فضاء البحث والصوفية عموماً - هو أمر عرف لدى سادات الصوفية البواكر؛ بل ودعوا إلى ضرورة كتمانهم وحذروا من إفشائه حتى لا يكون وبالاً على صاحبه. ولا يخفى على القارئ أن التاريخ الصوفي للحلاج يكشف في أحد جوانبه عن أحد أسباب قتله في أنه لم يقو على كتمان أسرارهِ، فأذاع ما لم يقبل منه، ولم يفهمه الناس فعمدوا ذلك منه زندقاً وكفراً²⁵، ويمكن إجمال أهم ما يميز هذا الطقس (الحضرة) حسب ما أورده الباحث نورد الدين الزاهي كما يلي²⁶:

1- الكيفية التي يصنع الجسد موسيقاه باكتفاء ذاتي صرف، فالصوت لا يخرج من الفم؛ بل من القفص الصدري، وعوض أن يتبع الصوت طريق تشكله العادي باتجاه التخريج الكلامي، تلتقطه اليد مباشرة من الصدر وتخرجه.

2- الكيفية التي يظهر الجسد بها كنص موسيقي في ذاته، ولذلك عبر تحويل الصوت المشكل إلى حركة إيقاعية منتظمة وموزعة بين حركتين اثنتين، هما حركة وقوف (انتصاب)، ثم حركة انحناء (سجود)، متناوبتان بشكل منظم إلى حدود الدرجة التي الجسد مبدداً على كل المكان ككل، وحركته تغطي جميع الاتجاهات ولكن ومن دون فقدان الإيقاع الداخلي الذي ينظم هذه الحركة.

3- إنّ انخراط الجسد في الحضرة تحت ظل موسيقاه يتم بشكل تدريجي مرفوقاً بفعل إغماض العينين، حيث تتم حضرة الجسد بعينين مغمضتين الأمر الذي يسمح لنا بالقول بأنّ الحضرة جسد من دون عينين.

إنّ لجوء الصوفي عموماً إلى الرموز والإشارات الحسية للتعبير عن تجربته الصوفية أمر مستمد أصلاً من الثقافة الإسلامية، فقد ثبت في قصص القرآن استخدام السيدة مريم الإشارة الحسية إلى ابنها (سيدنا عيسى عليه السلام) حين سأها قومها عن والده، وقد كانت عذراء لم يسبق لها الزواج، وهي في ذلك كانت تستجيب لأمر من الله بالصوم عن الكلام، والواضح أن لسانها كان مشغولاً بذكر الله حتى يخرجها الله من المأزق الذي وضعها قومها فيه وأتى الله تعالى على ذكر هذه القصة في سورة مريم يقول: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْراً سَوْءاً وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيّاً، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً﴾²⁷.

ونفس الأمر حدث مع نبي الله زكريا عليه السلام حين توجه بدعائه إلى الله ليهب له ذرية، فبشره بغيلاً اسمه (يحيى)، وكانت أيضاً آيته ألا يكلم الناس ثلاثة أيام وأمره الله بالذكر والتسبيح بالعشي والإبكار، كنوع من الحمد والشكر على نعمة الله، يقول تعالى: ﴿هَذَا الَّذِي دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (38) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ

* ولد عمي (بن يوسف) سنة 1936 بدوار الهداهدة ببلدية ولهافة ينتمي إلى عائلة مكونة من ستة أفراد، والوالدان متوفين، والأخوان لا يزالان على قيد الحياة، وآخر توفي في سنين الجمر، وأخت أخرى لا تزال على قيد الحياة، بعد سرقة أمواله بإحدى الحمامات بولاية تموشنت دفع والده إلى توبيخه وهذا ما جعله يخرج من المنزل متجهاً إلى حياة البراري بلا رجعة معتكفاً هناك، وقد نسجت حوله الأساطير حتى تحول كهفه إلى مزار للمئات من الفضوليين بعدما تداولت ألسنة الناس أنه يعلم الغيب ويمنح الرزق والعمل ويدفع الضرر... (أنظر: جريدة النهار الجزائرية طارزان يعيش في كهف داخل غابة منذ 50 سنة، 2013/02/01، <https://www.ennaharonline.com/>

²⁵ قصة الحلاج، تح: سعيد عبد الفتاح، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ط 2، د ت، ص 18

نورد الدين الزاهي، المقلس الإسلامي، مرجع سابق، ص 55، 56

سورة مريم، الآية: 27... 29²⁷

يُبَشِّرَكَ بِبَيْتِي مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (39) قَالَ رَبِّ أَتَىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (40) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا ۖ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (41) ﴿٢٨﴾.

ويلتقط الصوفي هذه الدلالات القرآنية، فيدرك أهمية الذكر في بلوغ المقاصد والمسرات وفي تلافي المصائب والمضرات، وينأى بنفسه إلى لغة الإشارات الحسية والرموز متى ضاقت عليه اللغة وعجزت العبارات عن حمل المقصود. من هنا نجد الفضاء الصوفي يعجّ برموز وإشارات ذات دلالات معينة، ولغة صوفية خاصة تتلبس بقوالب قد تحتاج إلى من يخترق حجاب هذه اللغة، والتي قد لا يفهمها من كان خارج هذه الملة وتربكه، فينسب إلى صوفية قلق العبارة وغموضها، ونتيجة لذلك فاض المعجم الصوفي بمدلولات جديدة لم يألفها المؤولون لكلام العرب، فأربكت المعجم اللغوي مبكرا لما فيها من غرابة التأليف والتركيب الدلالي، وأفرزت انزلاقا للدلالة حينما شحنت الدوال الصوفية بالمدلولات، وقد عبر عن هذا الواقع قول أحد المتصوفة في وصف حالهم: "فإذا نطقوا، أعجزك مرمى رموزهم. وإن سكنوا، هيهاث منك اتصاله"²⁹ لأنّ ظاهر الملفوظ قد لا ينبئ عن باطنه إلّا لمن تعمق في كنه الشيء وتماهى فيه وتلك خاصية القوم (الصوفية) لذا يسقط هؤلاء الذي هم من غير القوم في فخ الأحكام المسبقة دونما بينة.

ويوضح القشيري هذه المسألة في رسالته: "إنّ كل طائفة من العلماء لهم ألفاظ يستعملونها فيما بينهم انفردوا بها عن سواهم، تواطؤوا عليها لأغراض لهم فيها من تقريب الفهم على المخاطبين أو تسهيل تلك الصيغة في الوقوف على معانيها بإطلاقها، وهذه الطائفة يستعملون ألفاظا فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم و الإجمال و الستر على من باينهم في طريقتهم لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب غير منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها، إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف، أو مجلوبة بضرب تصرف؛ بل هي معان أودعها الله قلوب قوم استخلص لحقائقها أسرار قوم"³⁰.

3- الحضرة في عرف الصوفية طقس روحي علاجي :

والحضرة طقس علاجي بامتياز، ولها تأثير غريب على سلوكيات الأفراد ومواقفهم، تقول الدكتورة منال عبد المنعم: "إن للحضرة أثرا فعالا في الشفاء من الأمراض البدنية المختلفة؛ وإن كان هذا يتوقف على صدق المريد واعتقاده، بالإضافة إلى كثير من الحالات التي تحدث عنها المريدين كالشفاء من الصداع وضيق النفس (الربو) وكثير من آلام البطن وغيرها من الآلام التي تصيب الإنسان قد انتهت تماما بانتهاء الحضرة"³¹.

ويعود أثر الحضرة و نفعها على الزائرات وطالبات البركة والدواء أيضا وهو ما صرحت لنا به تلك النسوة ، فقد لاحظنا تسابقهن إلى العصا التي يضرب بها الطبل لتتناولها الواحدة تلوى الأخرى، وتضرب بها أنحاء جسدها أو بالأخص مناطق الألم التي يعانين منها، ومسح

²⁸ سورة آل عمران، الآية: 38...41

²⁹ ناجي حسين جودت، المعرفة الصوفية دراسة فلسفية في مشكلات المعرفة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1982، ص 129

القشيري، الرسالة، مصدر سابق، ص ³⁰31

³¹ منال عبد المنعم، التصوف بمصر والمغرب، مرجع سابق، ص 244

الرضيع بها حتى يكف عن البكاء و غير ذلك ، تلك النسوة هن غالبا عابرات سبيل و الزائرات للتبرك أو محبات للطريقة أو من النساء اللواتي يترددن على الزاوية من أجل حفظ بعض الأذكار والمدائح وانتحال شخصية الفقيرات فيما بعد، واتخاذها مهنة للارتزاق في الموالد والأعراس والجنائز.

كما تعد الحاضرة في عرف الصوفية غذاءً روحيًا للأنفس، وحصنا من الشيطان والأمراض، ويفسر أحد المريدين ذلك بقوله: " لها أثر فعال في تهدئة النفس والطمأنينة، وتحديد الحال لدى المريد لتقويته من حين لآخر عن طريق الغذاء الروحي الذي لا غنى عنه، فالحاضرة للمريد من أهم وسائل الوقاية من كافة الأمراض البدنية والنفسية، كما أنها بمثابة الدواء الشافي من كل داء"³².

وبقدر ما يحضر الفعل التاريخي والاجتماعي يحضر الفعل الميثولوجي، وكما يحضر الفعل الواقعي يحضر إلى جانبه الفعل الخارق والرمزي "وبهذا المعنى يكون المؤسس قناة لتصريف القدسي في التاريخ/المجال، لدرجة تصبح معها هوية المؤسس هي ذاتها هوية المجال، كما يصبح هذا الأخير تجسيدا لفعل المؤسس وإطارا لحضوره الدائم، إن اندماج العناصر المجالية بالعناصر القدسية يشكل في آخر المطاف مركبا رمزيا مشحونا بالقداسة"³³.

كل هذا نراه يتمظهر في مختلف الطقوس والممارسات التي لاحظناها أثناء زيارتنا سواء داخل الزاوية أو خارجها، ولعلّ اللحظة المناسبة لعلاج هذه الأمراض حسب تصريحات المبحوثات وبعض الزائرات هي لحظة ممارسة الحاضرة (العَمارة) ، والغريب أن المريض يستعيد حيوته ونشاطه فور الانتهاء من هذا الطقس، وعلى الرغم مما قد يثار بشأن هذا العلاج التطبيقي، وما قد يطرح بصده من أسئلة ، وبعيدا عن أي آراء من شأنها النظر إلى هذه المهام باعتبار عدم توافقها مع المنطق والعقل؛ فإننا نعتقد أن الزاوية والبركة الموجودة فيها توفر نوعا من الراحة النفسية والهدوء النفسي بعيدا عن وصفات الدواء التي توفرها الصيدليات خاصة إذا كانت الزاوية تضم ضريحا لولي من الأولياء الصالحين. الأمر نفسه أكدده بعض الباحثين الذين يرون أنّ هذه الاحتفالات الدينية والشعائرية «تكتسي طابعا ابتهاجيا أو تفرجيا أو إعلاميا»³⁴، لذلك يدخل هذا النوع من الاحتفالات في «موازاة مسرح «البسيكودرام Psychodrame»²⁵ كمسرح علاجي حديث». لذلك يحس المشاركون بعد الحاضرة براحة نفسية غامرة، إذ سيطرحون عن كواهلهم أعباء ثقيلة تراكمت بفعل مشاكل الحياة التي لا تنتهي.

والبركة سرّ من أسرار المشيخة؛ بل هو عامل أساسي لاعتقاد العامة، وهذا ما يجعل الناس يزدون تمسكا بالاحتفاظ بمخلفات الأولياء، ليس هذا فقط بل تشمل كافة الفضاءات المرتبطة به كالقبر والأقمشة الموضوعة عليه، وتراب أرضية المنزل، حتى كأس الشاي وقطع الحلوى والخبز التي تقدم لك داخل الزاوية، حيث لاحظنا كيف تتسابق الزائرات على هذه القطع، وتحفظن بها إما لأولادهن أو لمريض لديهنّ، وهذه القدرة لم تنته بموت شيخ الطريقة إنّما تنتقل بالوراثة إلى ذويه، وحتى الرأسمال الرمزي للشيخ أي "الكرامة" تنتقل إلى

المرجع نفسه، ص 244، 245

نور الدين الزاهي، المقدس الإسلامي، مرجع سابق، ص 36³³

³⁴ تقنية هدفها البحث النفسي المنصب على تحليل الصراعات الداخلية عن طريق تأدية أدوار أبطال سيناريو مرتجل، انطلاقا من بعض التعليمات، (أنظر: أحمد بلخيري

معجم المصطلحات المسرحية، الطبعة الثانية، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء 2006 - ص 83-84

ورثته من بعده مع اختلاف في نوعية هذه الكرامات، وإن غابت هذه الأخيرة عن الشيخ الحالي فيكفي أنّ الزاوية لا تزال تتغذى ببركة شيوخها الأوائل.

خاتمة:

أتاحت لنا هذه الدراسة التعرف عن طقس الحاضرة ودلالاته الرمزية لدى فقيرات الزاوية الهبرية بمدينة وهران وتوصلنا من خلال البحث الميداني الى ما يلي:

- تمثل الممارسات الطقوسية الصوفية من الناحية الأنثروبولوجية نسيجاً معقداً من الرموز والدلالات، وتأسيساً على هذا النسيج تتضح فاعلية الجسد في إبراز خطاب اجتماعي ثقافي رمزي يحبك سرده ويوسع دائرته في المخيال الاجتماعي، فهناك نوع من الميتافيزيقية يتداولها أتباع الطريقة، وهي عبارة عن حركات جسدية وذكر وموسيقى تعيد بناء الحدث الصوفي داخل المنظومة الثقافية للزاوية.
- الحاضرة من المجامع التي تحصر الزاوية الهبرية على أن تعقدها عند مرديها بصفة دورية (كل أسبوع إن أمكن) وهي طقس نفسي روحاني بامتياز حيث يجمع بين عدة سلوكات ظاهرية تتعلق بالجسد، وسلوكات باطنية تتعلق بالنفس.
- إن الحاضرة الصوفية تتطلب إحضار القلب مع الله، وكأنها حقيقة، فيحدث حينها تملّص نحو الخروج من الظلمة، وهي حالة المولود المقذوف إلى الوجود، والخروج إلى عالم النور الذي يغمس فيه الذاكر في الأشواق الربانية.
- تعتبر الحاضرة حلقة بشرية تتحرك حسب توجيهات مقدم الحلقة بفعل الأذكار والأوراد التي يرتقي بها المنخرط إلى مراتب ذوقية.
- إنّ الحاضرة ممارسة رياضية روحية تشبه حركة الصلاة التي تتطلب قرينة الخشوع والطهارة، والحاضرة تتطلب فعل الخشوع من المنخرطين فيها، والطهارة البدنية.
- إنّ المشارك في الحاضرة الصوفية يعيش فترة صدق أثناء سكره أو نسيانه في نفسه متى كان السماع إيقاعياً بفعل النص الجميل والمتواتر، يعيد إحساس التعميد وكأنه غمر في حياة مقدسة ليتحول إلى إنسان جديد كما حصل مع النبي صلى الله عليه وسلم في حادثة شق الصدر، ومع النبي يحيى عليه السلام.
- إن المنخرطات في الحاضرة الصوفية تلجأ إلى الخلاص الصوفي بالدخول في الحاضرة، كإحدى آليات إزالة الغبن بالمرض عن طريق الذكر، حيث يحدث ههنا نوع من التطهير النفسي وتفرغ الخوف، والذي أثبتت الدراسات النفسية أنه الجرعة الشافية لكثير من الأمراض النفسية.
- كما تشكل الدافعية الإيمانية سبباً للممارسة طقس الحاضرة، ذلك أن فعل الفاحشة أو ارتكاب المعاصي والذنوب يكون الاستغفار هو سيّد الحو لها، ويلاحظ تأثرهم الانفعالي بعد تكرار الاستغفار والتسبيح، وكأنهم يحفرن على السطح ذنب الفحش حتى ينمحي، وكلما تباكين فهنّ يؤمن بأن الله معهنّ.

➤ إنّ المتحضرّين في وصلته الروحية وبمجرد ما يستقبل لفظ الجلالة فهو يعذب بدنه فتتمحي أمامه كل الصور الغيرية، ويصبح غير مدرك إلا لصور غيبية ميتافيزيقية، ويتعاضم في الحال بالاستغراق والديمومة حتى يصبح على أهبة الفناء والذوبان في الصرع المعرفي، معتقدا في عطايا الله لأصحاب الوجه من كرامات.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن عربي، الفتوحات المكية، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999
- ابن عربي، فصوص الحكم، تحقيق أبو العلاء عفيفي، دار الكتاب العربي
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1998
- أدونيس، النظام والكلام، دار الأدب، ط1، بيروت، 1993
- خالد بن تونس-التصوف قلب الإسلام-عربه عن الفرنسية معهد ألف-باريس بإشراف سماعة المؤلف، دار الجيل، ط1، 2005
- شتاتحة أم الخير، زيارة الأضرحة وأثرها في إعادة تشكيل الوعي الجمعي، دراسة ميدانية لضريح سيدي عطاء الله ببلدية تاجموت، ولاية الأغواط، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2011
- عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، دار الخير، دمشق، بيروت، 1988
- قصة العلاج، تح: سعيد عبد الفتاح، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ط2، د ت
- ليلي قراوان، محمد رمزي، التصوف في مرآة معاصرة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد 27 (3) 2013،
- محمد أركون، نزعة الإنسنة في الفكر العربي، دار الساقى، بيروت 1997.
- مصطفى بن إسماعيل حبش المدني، النصرة النبوية لأهل الطريقة الشاذلية المدنية الفاسية، الطبعة العامرة الشرقية، مصر، ط1، 1898
- منال عبد المنعم، التصوف بمصر والمغرب، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، د ط، د ت
- المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت
- ناجي حسين جودت، المعرفة الصوفية دراسة فلسفية في مشكلات المعرفة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1982
- ولتر، ستيس، التّصوّف والفلسفة، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، د ط، 1999
- Junayd, Enseignement spirituel, traduit par Deladrière, Paris, 1983
- Louis Rinn, Marabouts et Khouan, étude sur l'islam en Algérie, Alger, 1884